الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني 1515م–1830م

الأستاذ. عديدة الشارف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس/ الجزائر

أستاذ مؤقت بقسم العلوم الإنسانية/ كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم/ الجزائر

Western Writings on the History of Algeria during the period of ottoman presence 1515 – 1830 A.D.

Prof. Adeeda AL Sharaf

Faculty of Humanities and Social Sciences\ University of the Gilali Lybes sidi Bel Abbes\ Algeria

Temporary Profess on Department of Human Sciences\ Faculty of Social Sciences\ University of Abdel Hamid Ben Badis\ Mostaganem\ Algeria.

adidacharef@gmail.com

Abstract:

The western writing which adapted the Algerian history during the reign of the Outhmanians, raised a great attention among many researchers and writers. Hence, this work Came to add new and noticeable studies.

- During the period of Outman's leadership form 1515-1830 the Algerian history was characterized with different Western writings from different nationalities, among then French, Spanish, English, Italian, German, Russian. and American one.

For that reason one may wonder abort the enigmatic motives that pushed the Western countries to strengthen their formative activities in Algeria throughout the religions men, piracy, the adventures, the military men, the commercials and the spies. They lived in Algeria during that period, in order to Know the ways of practices, the Algerian activities and to write their impressions, their witnesses and their reports.

They also tried to present dates and analyses that can be found only in these great writings which exceed the power of the researcher. Therefore, these writings have scientific and historical values that make these writings as the sonnies of other great researches.

Key Words: Western writings, travelers and Consuls, Ottoman Presence, Religious and ideological intolerance, history of Algeria.

الملخص:

شكلت الكتابات الغربية التي تناولت تاريخ الجزائر خلال التواجد العثماني موضوع اهتمام الكثير من الباحثين وفي مقدمتهم المؤرخين، كما أن هذا العمل قد يساهم في إضافة لبنة للدراسات والاعمال التي تدخل في سياق هذا الموضوع.

يتميز تاريخ الجزائر الحديث من خلال فترة التواجد العثماني 1815م –1830م بتنوع الكتابات الغربية وغزارتها ومن مختلف الجنسيات، الفرنسية، الإسبانية، الإنجليزية، الإيطالية، الألمانية وحتى الروسية والأمريكية، وهنا يمكن لنا التساؤل عن سر ودوافع تكثيف الدول الغربية لنشاطاتها الدعائية في الجزائر من خلال رجال الدين (الرهبان) والقناصل والرحالة والمغامرين والجواسيس والعسكريين والتجار والأسرى، حيث أقام هؤلاء بين أحضان المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة، وكذا لمعرفة آليات ممارسة نشاطاتهم، وكتابة انطباعاتهم وشهادتهم ومذكراتهم وتقاريرهم، وتقديمهم لأوصاف وتواريخ وقوائم وتحليلات وتفاصيل لا نجدها إلا في هذه الكتابات التي توصف بضخمة، والتي تتجاوز طاقة الباحث، ومن أجل معرفة قيمتها العلمية التاريخية بالإضافة إلى أنها من مصادر التوثيق لمعظم بحوث المؤرخين والتي لا يمكن لنا الاستغناء عنها.

الكلمات المفتاحية: الكتابات الغربية، الرحالة والقناصل، التواجد العثماني، التعصب الديني والإيديولوجي، تاريخ الجزائر.

المقدمة:

ما يمكن أن يقال عن الكتابات التاريخية الغربية حول تاريخ الجزائر خلال التواجد العثماني، هو تنوع وغزارة تلك الكتابات فمنها الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والإيطالية وغيرها، مما يفسر أن القوى الغربية وبالخصوص الأوروبية كانت لها علاقات ومصالح مع إيالة الجزائر إبان العهد العثماني، ولعل تفسير وتيرة هذا الاهتمام الأوربي بتاريخ الجزائر وأحداثه هو تزايد قوة وسيطرة الأسطول البحري الجزائري على حوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط واكتساب الجزائر لشخصيتها الدولية والذي كان دائما دافعا قويا للمؤرخين والكتاب الغربيين إلى تتبع كل ما يحدث في الجزائر ليصبح موضوع دراسة وتحليل[1].

وتعود أهمية تلك الكتابات للمعطيات والمعلومات القيمة التي تخص الجزائر في العهد العثماني، فهي تغطي جوانب عدة من تاريخ الإيالة، وتعود أهميتها كذالك إلى أن معظم أصحابها عاصروا الأحداث التاريخية التي دونوها وعاشوها، وهذا لا يعني أن المعلومات التاريخية الواردة في هذه المرحلة كلها جديدة، وإنما يطغى على البعض منها النقل والتكرار، ومعظم كتابها من الأسرى والمغامرين ورجال الدين المسيحيين.

لقد تميزت المرحلة الثانية من هذه الكتابات في المدارس التاريخية الأوربية القديمة وأن معظم كتابها عسكريون أو مترجمون أو قناصل بحيث وجد هؤلاء كل الدعم المادي فتم تشكيل اللجان العلمية، والجمعيات الأثرية والدينية وهيئات أخرى فتحت أبوابها لهؤلاء لنشر دراساتهم وأبحاثهم والتي غطت جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر العثماني.

يقول أبو قاسم سعد الله "...أن الوثائق والمصادر الشفوية والروايات تركت للمؤرخين اللاحقين أرضية يبدؤون منها ومنافذ يطلون منها على أحوال الجزائريين..."[2]، ويتميز هذا العهد بغزارة الإنتاج التاريخي وتنوعه بسبب إصرار القوى الغربية آنذاك على إعطاء الجانب التاريخي أهمية بالغة لتوسيع حملاتها على الجزائر وتنفيذ تهديداتها وطرح مخططاتها لإنهاء خطر الجزائر، ومن الخصائص التي ميزت الكتابة التاريخية الغربية آنذاك ارتكاز أهم البحوث على الظاهرة الدينية في الجزائر العثمانية قناعة من تلك القوى بأهمية ومكانة الدين الإسلامي في الوجدان الجزائري، كما يمكن الإشارة أن المرحلة التي أعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر بحيث دخلت المدارس التاريخية الأوروبية وبالخصوص الفرنسية مرحلة جديدة بحيث انتهج المؤرخون الطرق العلمية والمنهجية وهذا بعد ظهور المدارس العليا والجامعات ومساهمة الدراسات الإستشراقية* في عملية البحث التاريخي، فمعظم تلك الدراسات دافعت عن الظاهرة الاستعمارية التي مكنت الجزائريون من التخلص من الاستبداد العثماني حسب تفسيرهم.

وهنا يمكن أن تتبادر في أذهاننا الإشكالية التالية إلى أي مدى يمكن إبراز دور الكتابات الغربية في تنوير أو تشويه صورة إيالة الجزائر العثمانية، وما هي دوافع وأسرار تكثيف الدول الغربية لحملاتها الدعائية وآليات ممارسة تلك النشاطات، وهل حقيقة استمدت تلك الكتابات جذورها من التعصب الديني والإيديولوجي خدمة لظاهرة استعمارية؟

يبدو في المقابل أن معظم الكتابات الغربية حول فترة التواجد العثماني في الجزائر لا تتجاوز في الحقيقة واقع العلاقات الدبلوماسية، والملاحة والمبادلات والامتيازات الجمركية والدعاية، بينما الجوانب المهمة من أحداث داخلية ونشاط اقتصادي وعلاقات اجتماعية لا نجد لها إلا عرضا موجزا وتناولا سطحيا وإلماما مقتطفا، مما دفع بجل الباحثين الاعتماد أساسا على الكتب المطبوعة والتقارير الغربية المنشورة، فتكاد لا تجد أي كتاب تعرض لتاريخ الجزائر قبل الاحتلال ولم يعتمد على ما أورده الرحالة والتجار ورجال الدين والقناصل وغيرهم إبتداءا من D. Heado وإنتهاءا بـ w. shaler.

- نظرة الكتابات والمدارس الغربية للتواجد العثماني في الجزائر:

معظم الكتابات الغربية المعاصرة تستقي نظرتها من المصادر الغربية شهادات الأسرى وتقارير القناصل ومنظمات افتداء الأسرى وغيرها دون العودة إلى المصادر العربية التي تعد طرفا مهما في كتابة هذا الجزء الجنوبي من الحوض الغربي للمتوسط، ومعظم تلك الكتابات متشابهة في أطروحاتها[3].

يقول جون وولف "... كل من يرغب في كتابة تاريخ عام عن إيالة الجزائر التركية سيكون مديناً كثيراً للأشخاص الذين عاشوا في الجزائر وكتبوا عن تجربتهم بالإضافة إلى مسئولي الدول الأوربية الذين ارادوا أن يبقوا حكوماتهم على الاطلاع على الأحوال والمشاكل... إن أعمال هايدو* ومرمول* لا تقدر بثمن ولولاها لما قارب أي كتاب عن المغرب حدود الثقة العلمية..."[4].

1/ كتابات المدرسة التاريخية الفرنسية:

انتهجت الكتابات التاريخية الفرنسية في العهد ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر مبدأ وهو إثارة الرأي العام الأوروبي والمسيحي للتحرك من اجل وضع حد لمعاناة المسيحيين في إيالة الجزائر، ولعبت الجمعيات اللاهوتية وأهمها جمعية الإفتداء دوراً كبيراً في تأجيج روح الكراهية والانتقام، فالأب دان le père dan يركز في كتابه تاريخ الدول البربرية وقراصنتها "..فالعقوبات والمصائب التي يذيقها الترك المتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم..."[5]، وواصفا أتراك الجزائر"... ليسوا سوى قراصنة لا عهد لهم ولا صدق..."[6]، كما يذكر قرامايو Grammaye عن تصرفات بحارة الأسطول الجزائري "...إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة ينقضون على الغنائم وهم يصرخون... حتى ولو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة صداقة معهم..."[7].

لقد وصفو الجزائر في العهد العثماني بأبشع الصور يقول الأستاذ مولاي بلحميسي "... فالجزائر في مؤلفاتهم حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى، وجمهورية قطاع الطرق... ورياس البحر فهم المتعطشون للدماء وهم رعاة القوم وحثالة الأتراك وهم القراصنة الناهبون..."[8].

وهنا يمكن القول أن هؤلاء الكتاب تأثروا بطبيعة العلاقات العدائية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وانعكس ذالك على مصداقية تحليلاتهم التي بقيت حبيسة الروح العدائية والتعصب الديني، والأفكار مسبقة وو النوايا المغرضة فانعدمت الموضوعية والمصداقية وغابت الحقيقة رغم أهمية بعض المعطيات حول مختلف جوانب الحياة في إيالة الجزائر إبان التواجد العثماني[9].

أما المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية فهي مدرسة تحمل طابعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى بعيدا عن الصفة العلمية[10] رغم امتلاكها للأدوات العلمية والمنهجية والتي انتقلت بتلك الدراسات نحو آفاق أوسع، فالكتب والمناهج صيغت وفق رؤية استعمارية بأهداف ومرامي لطمس حقائق تاريخ الجزائر وتشكيك جزائريون في تاريخهم[11]، فدراساتهم للفترة العثمانية في الجزائر أهملت الجوانب الحضارية[12] حيث لخصت كتب هذه المدرسة الفترة العثمانية في أعمال القرصنة واللصوصية واستعباد المسيحيين ومعاناة الجزائريين من استبداد الأتراك وجشعهم[13].

إن تأثر هذه المدرسة بالنظريات الفلسفية الأوروبية في تفسير أحداث التاريخ الإنساني معتبرة أن الحضارة الأوروبية هي الحضارة المثلى الواجب الافتداء بها[14]، وكل هذا من أجل طمس حقيقة تاريخية من تاريخ الجزائر للوصول إلى غاياتهم وهي أن الجزائر لم يكن لها كيان سياسي، ولا مكانة دولية في الفترة الحديثة خاصة مع تغييب المصادر المحلية العثمانية والعربية واكتفائهم بالمصادر الغربية فجاءت تفسيراتها محدودة[15].

لقد لعبت الرسائل والتقارير الرسمية دوراً جد مهم في توفير المعلومات باعتبارها تصدر عن الأطر الرسمية، إن الكثير من هاته الرسائل جمعت في مجلدات رسمية فيما يعرف بالمجموعات ولعل أهم عمل ذائع الصيت لدى الباحثين الجزائريين هو عمل أوجلان بلانتيت مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك فرنسا[16]، ويرفض معظم المؤرخين الفرنسيين إعادة الاعتبار للفترة السابقة للاحتلال وتجاوزهم لمصادرها المحلية إلى المصادر الفرنسية بصفة خاصة والوثائق الأوروبية بصفة عامة[17]، وتجدر الإشارة أن حتى ودائع الأرشيفات الجزائرية فيما تعرف بالوثائق العربية التركية تودع في آخر الفهارس الأرشيفية الفرنسية، وأرشيفات محفوظة ما وراء البحار بأيكس آن بروفانس والأرشيف الوطني الفرنسي، وأرشيف وزارة الحربية بفنسان (باريس)، والغرفة التجارية بمرسيليا، هذه الوثائق التي أشاد بها آلبيرو أميريث Emerit على أن ذالك لم يؤدي إلى نتيجة.

يؤكد المؤرخ الفرنسي ERNEST-MERCIER " لولا النظم العثمانية الذكية لما مكث العثمانيون مدة ثلاث قرون بقوات قليلة جداً"[18]، ويذكر نفس المؤرخ أن مجلس الحكومة بديوانه الخاص والعام كان يظم مختلف أطياف الموظفين والجيش بذالك أصبح الحكم في الإيالة نظاما مدنيا وعسكريا بمعالم جمهورية وهذا في عهد الباشاوات[19] كما كان لشيوخ القبائل المخزنية* وسطاء بين أهل الريف والإدارة العثمانية، والأغا والقياد في الأوطان الذين كانت لهم صلاحيات كاملة في مراقبة أراضي العزل وقبائل الرعية وساندهم في ذالك الأعيان والأسر المحلية الممارسة لبعض الوظائف الإدارية، بغية وفرة الإنتاج واستقرار الحكم[20].

إن فاعلية النظام الاجتماعي للجزائر العثمانية استند على تطبيق القوانين الإسلامية التي جسدتها ونظمتها هيئات قضائية حنفية ومالكية وتنظيمات الأوجاق الإدارية التي كانت موجهة لتحقيق المنفعة العامة وذالك بالمؤسسات الوقفية، أما المحاكمات الخاصة بالقتل واللصوصية فأحكام القاضي سريعة[21].

إن التنظيم المالي ممثلا في مؤسسات الأوقاف كانت توفر خدمات عمومية، والتي بدورها أنشأت هيئة مالية مستقلة قائمة على تقسيم الموارد المالية دورياً[22] يذكر القنصل الفرنسي في الجزائر شارل فيليب فاليير1791–1792 في مذكراته التي جمعها شايو صور واضحة عن الجزائر خلال الفترة العثمانية وبدون خلفيات، إلا أنه قدم انطباعات جد قاسية عن الجزائر والجزائريين خلال هذه المرحلة، عن تمرد الإنكشارية 1817، وثورة الكراغلة ضد الأتراك، وانطباعات وملاحظات حول قصر الداي، وحكومة الجزائر وانتخابات الديوان والسكان والعادات والتقاليد والشعائر الدينية والقوات العسكرية[23].

أما الأب دان p.pierre dan المتوفى سنة 1637 الذي كلفته الكنيسة الفرنسية افتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر حيث وصل في 1634/07/12 وتمكن من افتداء 42 أسير ساقهم إلى فرنسا حيث وصف في كتابه تاريخ بلاد برابرة الجزائر والذي طبع في باريس سنة 1634 أتراك الجزائر والإسلام والمسيحية بالجزائر والجهاد البحري والقرصنة في مفهومها الخاص. ومعاملة الجزائر للأسرى الأوروبيين وأوضاعهم المأساوية[24].

لقد أوضح دي غرامون H.De Grammont في مؤلفة تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية 1516–1830 وفي أولى صفحاته بقوله "..لقد كانت الجزائر مصدر الرعب والملجأ المفضل للقراصنة البربريسك..." وقد أبرز ذالك بوضوح أكثر في ثنايا كتابه "...إن سياسة القرصنة التي سلكتها الجزائر أمرا حيويا لوجودها وإستمراريتها، فهي دولة لا تتوفر لا على التجارة ولا على الصناعة ولا على الزراعة..."[25] يبدو إن صاحب هذا الكتاب لم يكلف نفسه مشقة البحث عن موقفه من الوجود العثماني بالجزائر، كما ذهب المؤرخ دي غرامون أكثر من هذا حيث رفض وبشكل قاطع الاعتماد على المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وشكك في نزاهتها ومصداقيتها وإتهمها بالتجريد والمبالغة، ونادى بالاعتماد على المصادر الأوروبية المحلية وعليه فجل دراساته تعتبر مغرضة وتهدف إلى خدمة الاستعمار الفرنسي[26].

يطلق المستشرق الفرنسي Gautier Emile Félix في كتابه ماضي إفريقيا الشمالية مصطلح القرون المظلمة في الجزائر والمغرب الإسلامي إلى مجيء الأتراك[27]، أما مواطنه بوي boyer فيعطي تقييما عاما للجزائر في العهد العثماني والذي عبر عنه مايلي "... لقد أصبحت الجزائر في القرن السادس عشر اوجاقا حيث السلطة المطلقة فيه للرياس والإنكشارية، فحين يشاركهم الأهالي بنشاط وشهوة في العمليات اللصوصية البحرية..."[28]، أما الكاتب الفرنسي rotallier فقد أجزم أن نكث المعاهدات أمر غريزي لدى الجزائريين ولا يتسنى للجزائر أن تعيش إلا عن طريق الحرب لما توفره لها من ثروات[29].

يرى V.D paradis أن الالتزام بالمعاهدات من قبل الجزائر ضرب من الخيال، ويذهب أكثر من ذالك حيث يقترح أن تتخلص الاتفاقيات من بندين لا غير، أولهما السلام، وثانيهما التأكيد على المعاملة المتبادلة بين طرفين ولا داعي للاتفاق حول قضايا مختلفة، مما يزعج الجزائريين لا يكتب له الدوام[30]، كما قدم بارداي أعمالا ذات قيمة عالية عن الجزائر العثمانية ونشرت في المجلة الإفريقية، وقدم عملا بمناسبة زيارته للجزائر سنة 1789 تحت عنوان notes sur alger يتضمن معلومات قيمة تخص مدينة الجزائر (تعداد السكان، أطياف المجتمع، الحقول، البساتين)[31].

كما نشر مؤرخون وعلى رأسهم شارل أندري جوليان فكرة عن الحكم التركي للجزائر لم يكن ذا طابع وطني ولم يسمح بقيام وحدة وطنية عكس تونس في عهد الاسرة الحسينية[32]، ربما هذا يدخل في السياق الإيديولوجي فقد نص تقرير لاباصونيار la pinsonniér e محاضر اللجنة الإفريقية سنة 1833 على ان الاتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا تسببوا في تدميرها وأن حكومتهم لم تنتج سوى مغتصبين وأعداء[33]، وهذه الدعاية نجدها عند المؤرخين الفرنسيين المعاصرين pierre nora كتب في مجلة nouvel observateur بتاريخ 1981/11/07 استخفافا بنا حيث يقول" إنها تسعى حثيثا لاسترجاع وثائقها من فرنسا لعلها تجد فيها ذكر الوجود في الماضي كأمة، ولكنها لم تجدها، لأنها لم تكن أمة طوال التاريخ[34] وهذا حسب تعبيره طبعا.

– يلاحظ من هذا أن الفرنسيين قد استعملوا المصادر الغربية والأرشيفات الأوروبية من مذكرات ومراسلات وتقارير، في حين ظلت المصادر المحلية ممثلة في الأرشيفات والمخطوطات بالجزائر وتركيا مهملة، مع كونها المادة الخام لهذه الدراسات.

– يبدو أن معظم الدراسات التاريخية الفرنسية والمتعلقة بالفترة العثمانية تعتبر دراسات مغرضة فهي تخدم بالدرجة الأولى الظاهرة الاستعمارية، بحيث أخضعت منهجية التاريخ ومتطلبات البحث لمرامي السياسة الاستعمارية.

- الواضح أن التواجد العثماني في الجزائر في نظر الكتابات الفرنسية بمثابة الذي حال دون اكتساب الجزائر لمقومات الدولة الوطنية وأعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية، وأدت هذه النظرة بالكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخي لشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري.

– يبدو أن جل ما كتبه الفرنسيون عن الفترة العثمانية في الجزائر هو عن قضايا جانبية وموضوعات هامشية، واهتم تركيزهم على مدينة الجزائر، والقرصنة، وافتداء الأسرى.

– في اعتقادنا أن الكتابات الفرنسية كان لها الفضل في تنشيط الإنتاج التاريخي المتصل بالعهد العثماني رغم انحياز معظمها، وعلى عاتق المدرسة التاريخية الجزائرية توسيع مشروع كتابة هذا التاريخ.

2/ كتابات المدرسة التاريخية الإنجليزية:

اعتمدت الكتابات الإنجليزية عن التواجد العثماني في الجزائر خلال القرن 16 على النموذج الغربي ومصادره، فالكتاب الإنجليز لم يقاوموا خيالهم المرهف، حيث صوروا السكان المغاربة بالزي الإنجليزي الصناعي، فهؤلاء الكتاب كانوا دائما معاقين بأولئك الكارهين والحاقدين على الإسلام[35]، كما تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1689 – 1750 فترة نقدية لتاريخ النظرة الإنجليزية للإسلام، حيث تحول العلماء من الفحص الجدلي للإسلام إلى دراسة المجتمع الإسلامي، وغيروا نظرتهم من المجابهة إلى الدراسة اللاهوتية إلى التعايش مع الثقافة السياسية للدول الإسلامية، وكانت المخيلة الإنجليزية تصور الإسلام بمصطلحات الأندلسيون المغاربة Moors و Tutk[36].

إن نموذج روايات ورحالات القرن السابع عشر حملت العديد من الوصف التضخمي البراق لتهيئة الجمهور للمستقبل، وإن الكتابات بين القرن السابع عشر ونهاية القرن الثامن عشر مثل كتابات ساموال بارشاس Samuel Purchas، وجون ونيدوس John Windhus، كررت بعضها الأخر كأنها تخاطب العديد من الأجيال بعرقية قاسية ونموذج كنسي تاريخي، إن الكاتب ساموال برشاس رغم أنه قداماه لم تطأ شمال إفريقيا إلا أنه وصف في كتابه " حج برشاس" سنة 1613 بل وهاجم بعنف في الكتاب السادس منطقة شمال إفريقيا حيث يقول "... إن السكان الواقعين بتونس وطرابلس الغرب، وحوش، لصوص، جهال، وخائنون...[37]، إن أول رواية إنجليزية كتبت عن الجزائر كانت للأسير توماس هاسليتون سنة 1595 حيث يروي أن غارات البحارة المسلمين ضد الملاحة المسيحية لم تكن نتيجة العنف الديني أو رغبة في الغنائم هو بسبب أن الإسبان يجهزون سفنا ويذهبون إلى سواحل شمال إفريقيا وفي حالة إمساكهم لأي رجل من هذه الأمة يصبح عبدا على السفن الإسبانية، ولهذا إجتهد الجزائريون لملاحقتهم على أرضهم وإذ سمحت لهم الفرصة وأخذوا مسيحيا فإنهم يستعملونه بطرق مرغوبة[38].

لقد نشر توماس شاو Thomas Shaw سنة 1735 رحلته إلى الجزائر، حيث قدم في الفصل الثالث من القسم الثالث من عمله، معلومات من عادات وتقاليد الجزائريين، ومعلومات قيمة ووصف لمختلف مناطق الجزائر كعمل طبوغرافي، كما ذكر أن العرب يتميزون بثوراتهم ضد الأتراك وطبيعتهم الاستقلالية، ورغم أنه كان قساً ملحقاً بالقنصلية الإنجليزية بالجزائر إلا أنه كتب بنوع من العقلانية[39].

تؤكد زوجة القنصل الإنجليزي في إستانبول مونتاغي بقولها "... أعرف أنكم تتوقعون مني أن أقول أشياء خاصة عن العبيد، لكن لن أتحمل التصفيق بحرارة للإنسانية التي يتعامل بها الأتراك مع أسراهم المسحيين، فهم لا يسيؤن استخدامهم... صحيح أن الأسرى لا يتلقون أي أجرة، لكنهم يستلمون ملابس جديدة كل سنة وذات قيمة عالية من تلك التي نمنحها لعبيدنا الذين هم في خدمتنا..."[40] كما تعتبر مذكرات السيدة براوغتون احد أهم المصادر الإنجليزية والتي تهتم بوضعية المسيحيين في الجزائر أواخر العهد العثماني حيث أنجزت عملها اعتمادا على مذكرات والدتها زوجة الوكيل والقنصل الإنجليزي العام في الجزائر 1806

– 1812 هنري ستانفورد بلانكلي Henry Stanyford Blanckley بحيث عرف عملها بأقل عصبية مقارنة بأبناء وطنها، لقد عنونت في إحدى فصول المذكرة دلائل إضافية للنوايا السلمية لداي الجزائر[41].

يقول المؤرخ الإنجليزي جوزيف مورغان " بكل تعاسة كان من الصعب جدا إنهاء كل هذا ففي القائمة التي طبعت سنة 1689 يوجد 160 سفينة إنجليزية أسرت من طرف الجزائريين بين 1677 إلى 1688... ويمكننا الترجيح ما بين 7000 إلى 9000 أسير بريطاني بين رجل وامرأة أخذوا للعبودية في الجزائر خلال هذه السنوات[42]، لكن هذه الأرقام صورها هؤلاء الكتاب الذين افتدوا من الأسر لم يكونوا موضوعيين لأنهم كانوا دائما معاقين بأولئك الكارهين والحاقدين على الإسلام، فالمصادر الإنجليزية اعتمدت كلها على النموذج الأوروبي بحيث أن هؤلاء الكتاب لم يقاموا خيالهم المرهف[43].

3/ كتابات المدرسة التاريخية الاسبانية:

إن أغلب الكتابات الاسبانية عن التواجد الاسباني في الجزائر خاصة من الأسرى والقساوسة حتى ولو كانوا كتابا ومؤرخين كبارا مثل هايدو Haédo، ومرمول Marmol، وثرفانتيس Cervintes كانوا ناقمين على تدخل الإخوة بربروس في الميدان، كما تحصروا على ضياع الفرصة على أوروبا المسيحية[44].

الواضح أن لتعصب الديني والرغبة في نشر المسيحية وفي زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسلام منذ أواخر القرن الخامس عشر إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا[45] فخرجت القوات الإسبانية لاحتلال مختلف الموانئ الجزائرية والتونسية وطرابلس الغرب[46] يقول برديول "إن الحروب الإسبانية في إفريقيا أخذت صبغة صليبية حقيقية، وذلك لدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس ومن جرأة في هذه المعركة الخاصة بها[47] فبرغم الغنى الوثائقي لكتاب برودیل إلا أنه ظل لغياب الأرشيف العثماني به ضعفاً وكتب ما نصه " فهناك مدهش بالنسبة للبلاد التركية ونقطة ضعف هذا الكتاب، وباعث المؤرخين الأتراك والبلقانيين والسوريين والمصريين والمغاربة على ملأ هذه الفراغات ومساعدتنا على هذه المهمة لا يمكن أن تكون سوى جماعية[48].

قدم رجل الدين الإسباني فرنتبسكو خيمنيث المولود سنة 1685 وهو من الآباء البيض والذي زار وهران ودون معلوماته في ثلاثة مجلدات تتضمن معلومات هامة عن ظروف الأسرى المسلمين في إسبانيا وتحادث مع الباي بوشلاغم وقدم معلومات عنه منها دفعه بعض الأسرى لاعتناق الإسلام، أما بخصوص مارمول كربخال Marmol Carvajal 1520–1600 عسكري ومؤرخ إسباني عاش بين المورسكيين المحتجزين في غرناطة، وعاش في الجزائر كأسير لمدة ثمان سنوات ورافق جيش شارل الخامس سنة 1541 عند محاولته احتلال مدينة الجزائر، وترك كربخال كتابا مهما عن شمال إفريقيا عامة والجزائر وطبع سنة 1600 بغرناطة[49].

تمكن هايدو F.Diego De Haedo من تأليف أعمال ذات قيمة عملية راقية باللغة الإسبانية وتحت الرعاية الدينية للكنيسة الكاثوليكية سنة 1608 ترجمت إلى الفرنسية بعنوان Topographie et Histoire générale d'Alger حيث تناول المحور الأول طبوغرافية الجزائر، والثاني حكام أو ملوك الجزائر، والثالث حول الأسر، والرابع حول الشهداء، والخامس حول المرابطين، وتأخر نشر هذا الكتاب إلى عام 1612، ومن غير المستبعد أن الموافقة على النشر جاءت بعد حذف أو تعديل أو زيادة معلومات تمس المسحيين[50].

– يمكن القول في هذا المقام أن معظم الكتابات الإسبانية أثناء هذه الفترة هي في شكل نداءات للقضاء على الإسلام في هذه الربوع.

– يبدو أن حدود التأليف والكتابة التاريخية الإسبانية مدفوعة إيديولوجيا بتوجيه النداء لتجنيد أوروبا ضد إيالة الجزائر، ودينيا باعتبار معظم أصحاب تلك الكتابات هم من رجال الدين أو متدينين ويلقون التوجيهات من الكنيسة، إشاراتهم المتعددة لسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية داخل الإيالة واعتبارهما مصادر للغلو وعدم تقبل الأخر.

4/ كتابات المدرسة التاريخية الأمريكية:

إن العرض التاريخي والنظرة الأمريكية حول إيالة الجزائر راجع إلى السنوات الأولى من ميلاد الجمهورية الأمريكية، حيث كانت النظرة الأمريكية تتحكم فيها عدة عناصر، كالجهل بثقافة المغرب العربي والتعالي الحضاري والعسكري، والتأثر بالتوجه التقليدي الأوروبي نحو الحضارة الإسلامية وأهلها بما في ذلك الفكرة القرصنة، ودخلت الجزائر الأدبيات الأمريكية بشكل قوي بالإضافة إلى المراسلات الرسمية وجدنا مؤلفات التي كتبها الأسرى الأمريكيون الذين وقعوا في قبضة الجزائريين، ومن بين هذه المؤلفات أعمال تاريخية تصف تاريخ الجزائر وحكومتها واقتصادها وثقافتها وعلاقاتها ومعظمها كانت غير مصنفة، لأن الهدف منها الإثارة الدينية والوطنية والاستعطاف للفداء والانتقام[51] إلى جانب ذلك أنتجت هذه الفترة أدباً أمريكياً عن الجزائر في شكل مسرحيات وروايات كان موضوعها الإساءة إلى سمعة الجزائر ومن بينها رواية الجاسوس لبيترا ماركو والدكتور أندرهيل[52].

لجأت معظم الكتابات الأمريكية إلى مدح أبطال أمريكا على الساحل البربري الذين شقوا لبلادهم طريق الدبلوماسية والتجارة، فلمعت كتاباتهم أسماء الدبلوماسيين مثل جول بارلو j. Barlow ووليام شالر W.Shaler، وأمراء البحر ظهرت أسماء وليام بامريدج، وإسحاق شونسي، وأشاد الكتاب بأبطالهم بشكل فضفاض مثل كتابي دونالد شيدسي D.Chidsey (الحروب في إفريقيا الشمالية) و(القرصنة العربية وميلاد البحرية الأمريكية)، وكتابي بارنباري H.Barnby (مساجين الجزائر) و(الحرب الأمريكية – الجزائرية المنسية 1785–1797)[53] بالإضافة إلى بعض الأعمال العامة كمؤلفات غاردنر G.W.Allen تحت عنوان بحريتنا وبحارة إفريقيا الشمالية، وراين إروين R.W.Irwin عن العلاقات الأمريكية الدبلوماسية مع دول المغرب 1776–1816، وكلها أعمال تظهر تفوق الأسطول الأمريكي على أساطيل دول المغرب من جهة والصعود الأمريكي لاسيما في عالم البحر الأبيض المتوسط[54].

فالمستعمرة البريطانية وبعد استقلالها ورثت قرون الصراع الإيديولوجي المسيحي الإسلامي، فالمعركة جاءت لتعكس بقوة صراعا اقتصاديا على التجارة وحقوق الملاحة، واستمر الكتاب الأمريكيون في دعم الدعاية ضد الإسلام والمسلمين، مستعملين مصطلحات سابقة استخدمها الكتاب الأوروبيون، يصف ماثر كوتن Mather Cotton ملاك العبيد في شمال إفريقيا ب "وحوش إفريقيا" و"قوى الظلام" وأجساد سكانها في صورة شياطين غير إنسانية واصفا الأكثر رعبا في العالم[55]، كما يذكر جيمس ريلي أن قصة الأسر لوالده في الجزائر قد بيعت منها مليون نسخة وكان من بين قراءه الرئيس الأمريكي أبراهام نيلكون[56].

إن مذكرات القناصل مثلا تعبر عن شهادات لأشخاص مثقفين عايشوا السلطة والمجتمع في الجزائر وتعتبر شهاداتهم أقرب إلى الموضوعية نوعاً ما، مما يجعل الاعتماد عليها أحد مؤسسات البحث التاريخي، لكن لا يمكن أن تكون أغلب المذكرات موضوعية فالكثير منها حمل أفكار الكنيسة، والسلطة التوسعية، وتعتبر مذكرة وليام شالر القنصل العام لأمريكا في بلاد المغرب والتي طبعت سنة 1826 وطبعت بالفرنسية سنة 1830 بواسطة بيانشي Bianchi واستخدمها الفرنسيون كدليل لهم في حملتهم ضد الجزائر 1830، ومذكرة جيمس ليندر كاثكارت أسير الداي أعمالا تحمل معلومات قيمة عن الفدية والسجون والمعاهدات وباختصار العلاقات الجزائرية الأمريكية[57] إن كتاب وليام شيلر مختصر تاريخ الجزائر الذي نشره سنة 1826 يقترح فيه على الدول الأوروبية احتلال الجزائر كاشفا لهم عن عيوب نظامها وضعف قوتها وقابليتها للاستعمار حيث سارع الفرنسيون إلى ترجمته وتطبيق اقتراحاته قبل أن يسبقهم إليه الإنجليز[58].

– إن الكتابات الأمريكية حول هذه المرحلة تميزت بطابع تمجيد المواقف الأمريكية من رفض دفع الجزية، ورفض المعاهدات وقوة الأسطول.

– وصفها لحكام الجزائر بالقرصنة والرشوة وضعف الضمير الديني والتخلف الحضاري.

5/ كتابات المدرسة التاريخية الهولندية:

كتب المؤرخ الهولندي الشهير سيمون دوفيريس مؤلفًا منقولاً لعمل الفرنسي الأب بيار دان تاريخ الدول البربرية وقراصنتها وهو عمل خاص أو متعلق بالساحل المغاربي بنفس أطروحة الأب دان، كما شهدت كتابات أخرى رواجا في الأراضي المنخفضة

خلال الفترة الحديثة، مثل رواية " نهب أمستردام" التي تعود لإحدى الفتيات الصغيرات من أمستردام والتي أسرت من قبل بحارة جزائريين ونشرت سبع مرات ما بين 1693– 1780 وكتاب اليهودي الحقير "أو" وهو واحد من الرحالة الغير محظوظين.

كما ظهرت كتابات هولندية خاصة ببحارة المغرب الإسلامي في الرزمانات والصحف الهولندية، مثل رزمانة دوسليني ميركيريوس التي نشرت في أمستردام سنة 1686 يذكر فيها أسره وأسر لسفن وبحارة هولنديين من قبل بحارة شمال إفريقيا، والتدابير المتخذة لافتداء الأسرى، كما ساهمت الصحف الهولندية أمستردام دينغسديغس كورنت، وأورديناري كورنت والتي قدمت معلومات عن المغرب الإسلامي، والمفاوضات التي جرت بين الدول الأوروبية والجزائر والأساطيل التي كانت تجهز للقضاء على نشاط الجزائريين[59].

6/ نماذج من الكتابات الغربية ذات الطرح المعتدل:

لعل أبرز الكتابات الغربية التي انتقدت الكتابات اللاموضوعية هو " قود فراي" يشير في كتابه

الأسطورة البربرية" الذي رأى أن الجزائر لم تكن في يوم من الأيام وكراً للقراصنة، وإنما كانت منطقة تنطلق منها الحملات العسكرية على الدول التي لم تكن في حالة سلم مع المنطقة[60]، كما يوجه المؤرخ روبرت ماترنRobert Mantran نقداً للكتابات التاريخية المنحازة واللاموضوعية خاصة الفرنسية حيث ذكر أنه لا يمكن كتابة تاريخ الجزائر الحقيقي في القرون التي عاشتها تحت الحكم التركي إلا بالرجوع إلى الوثائق الأصلية والتي ظلت ناقصة[61] فالعودة للأرشيف العثماني لما يحتويه من معطيات وحقائق ينفد الكثير من الأحكام المسبقة التي ألصقت بالحكم العثماني في الجزائر، كما أوضح الكاتب شارل تايلور لقد كان للأسرى المسيحيين الحرية في تأدية عباداتهم الدينية...أما المسيحيين الآخرين والذين يريدون الاستماع للقداس إما الحضور لدى القنصل أو في شقة بعض القساوسة[62].

يمثل عمل القنصل الدانمركي في الجزائر ريهبايندر أحد أهم الأعمال المؤلفة حيث نقل أعماله بالجزائر في ثلاث مجلدات صدرت الطبعة الأولى سنة 1798 تحت عنوان " أخبار وملاحظات حول بلاد الجزائر"، وجاء هذا العمل مشبعا بالأفكار التنويرية وكان الهدف من هذا الكتاب إزالة الأفكار الخاطئة حول الجزائر بلد القراصنة، والعمل على التسامح الديني، ورأى أن الخوف من هذه البلاد بني عن طريق الرهبان والبعثات الكاثوليكية من خلال كتابات ملبسة تحت عناوين علمية مزيفة، حيث وصف في إحدى محتويات مؤلفه "... أن كتابات الرهبان المبتدئين قذرة وممزوجة بالحقارة وكتابها فعلو كل شيء لوصف السلوكيات الدينية والحياة اليومية الطبيعية لسكان البلد بنوع من الاشمئزاز والنفور والدناءة... واتهام السكان الأصليين بمسؤوليتهم عن معاملة المسيحيين كالعبيد الزنوج، وعليه الكتابة بهذه الطريقة حق محفوظ للأوروبيين الأنقياء والعظماء... حيث لديهم الحق الكامل والحصري..."[63] كما قدم المؤرخ السويدي كارل ريفتيليوس Carl Reftelius عملا طوبوغرافيا ضخما في جزأين بعنوان "التاريخ والوصف السياسي للسلطة والبلاد الجزائرية 1516 – 1732 حيث تضمن هذا الكتاب العديد من المواقف النبيلة والشوفينية لسلطة السياسية في الجزائر العثمانية حيث يصف أن الكثير من الأسرى المسحيين كانوا مرتاحين في الجزائر أكثر من بلدهم الأصلية[64].

جاء في مذكرات الرحالة السويدي جيمس بروس James Bruse بعنوان رحلة للكشف عن منابع النيل حيث ضمت إشارات إلى مغامراته بالجزائر ونظرته إلى الوضعية السياسية في المنطقة حيث طرحها بشكل موضوعي بعيدا عن الإيديولجيا والتعصب[65]، كما يؤكد أحد المؤرخين الغرب " كاط " بأن الهولنديين والإنجليز هم أكثر شراهة ووحشية في قرصنتهم من الجزائريين، ودولهم من كانت تقوم بتسليحهم ليمارسوا القرصنة ضد الجزائريين وقرصنتهم لم تكن أبدا أكثر أخلاقية من جهاد الجزائريين البحري[66]، يقول المستشرق فولدكه صاحب كتاب تاريخ الترك في أسيا الوسطى"... إن الغالبية العظمى من المؤرخين غير المسلمين قد تجاهلوا وتناسوا مقتضيات الأمانة العلمية والإنصاف، بل وأطلقوا العنان لأحقادهم الظاهرة والباطنية... والافتراءات التي لا تستند إلى أية بينات تاريخية بالأتراك العثمانيين المسلمين..."[67].

شهد القرن الثامن عشر ظهور تيار فكري خاصة في فرنسا يرفض الذهنية الموروثة عن القرن السابع عشر تاركين الأحكام المسبقة ومن الذين نادوا بهذه الأفكار بيصونال J.A.Peysonnel، ولوجي دي تاسي L.de.Tassy، ولي روا Leroy.

لقد انطلق لوجي دي تاسي من مبدأ وهو أن الإنسان واحد في مختلف الأمم تقريبا، ولذا يجب القضاء على الأحكام المسبقة[68] وحذا حذوه لي روا إذ يذكر في مقدمة كتابه أن هدفه من تأليفه هو إعطاء نظرة جديدة عن الجزائر، أي تصحيح النظرة القديمة وهو ما عبر عنه بما يلي "ستغمرني سعادة كبرى إذا استطاع كتابي أن يقدم نفعا لدول الأوروبية المتعاملة مع الجزائر، وإذا نجح في القضاء على الإدعاء غير العادل الناتج عن التعصب البالغ فيه ضد كل من هو تركي Pour de raciner la prévention injuste er ridicule contre tout ce qui s'apelle comme si ce n'était pas de hommes nous" ويعتبر لي روا من القلائل الذين حاولوا إنصاف حكومة الجزائر في هذه الحقبة فهو يميز تمييزا دقيقا بين مسؤولية الحكومة ومسؤولية بعض البحارة الخواص في أعمال القرصنة وهو ما عبر عنه بما يلي " إن أعمال القرصنة لا تمارس إلا ضد الأعداء، وإذا تضررت أحياناً بعض الدول الصديقة منها فهذا يرجع إلى تصرفات بعض البحارة الخواص ولا مسؤولية للحكومة في ذلك[69].

– ساهمت مثل هذه الأعمال في تقدم حركية البحث في تاريخ الجزائر العثمانية، وهذا بتوظيف المصادر المحلية لكتابة تاريخ الجزائر العثمانية.

خاتمـــــة:

- يبدو أن الكتابات الغربية كان لها الدور في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية، بحيث غطت النقص الذي خلفته الكتابات العربية والعثمانية، دون أن ننسى أن هذه الكتابات مهدت للنظريات الاستعمارية التي تزعمتها المدرسة الغربية، وبعبارة آخرى لقد ضمت في طياتها منظور المدرسة الفرنسية على وجه الخصوص.
- في نظرنا أن معظم تلك الكتابات لم تكن موضوعية في تحليلها لأوضاع الجزائر أثناء التواجد العثماني، وجلها لم يكتبها باحثون مختصون بل كتبها في الغالب آسرى ومغامرون ورجال الدين معتمدين على نشر الدعاية لأعمال القرصنة واللصوصية مخلفةً أفكار سلبية عن الجزائر، وافتقدت معظم هذه الأعمال للموضوعية والأمانة والحقيقة التاريخية، حتى وإن وجدت فإن كتابها يعمدون لغرس إيديولوجياتهم فيما تبقى من نسب البحث.
- نعتقد أن الوثائق الغربية ضمن الأطر الرسمية كمراسلات القناصل في هذه الفترة قدمت معلومات أكثر دقة من روايات الأفراد وشهاداتهم والتي تقدم تحت ميول دينية وإيديولوجية تنقص من قيمتها العلمية.
- يلاحظ أن التقييم الغربي لتاريخ الجزائر العثمانية تقييم ذاتي مرتبط بالحقد والكراهية، ويغذيه عاملان أساسيان الأول الجو الصاخب وقتذاك والناتج عن الصراع بين الإسلام والمسيحية، ويكمن العامل الثاني في عجز الدول الغربية في مواجهة القوة البحرية الجزائرية فتحول ذلك العجز في اعتقادنا إلى ازدراء وسخط احتقار غربي موجه.
- في تصورنا أن معظم الكتابات الغربية كان الغرض الأساسي منها الوصول إلى فكرة مفادها أن الفترة العثمانية ليس فيها ما يكسب الجزائر شخصية وطنية وكياناً سياسياً ونظاماً اقتصاديا، وأطراً دفاعية، أو بالأحرى شخصية دولية.
- يبدو أنه لا يمكن لنا أن ننساق دائماً مع ردود الأفعال وننجر إلى مزالق مفتعلة في استخلاص الأحكام التاريخية حول هذا الموضوع، يفرض علينا الرجوع إلى المصادر الأساسية وتفهم معطيات حركة المجتمع وتوجه التاريخ، خاصة في ظل وجود كتابات غربية ذات طرح معتدل.
- إن هذه الكتابات ورغم أهميتها ومعاصرتها للأحداث إلا أنها ولاعتبارات موضوعية لا تمكننا من تجديد نظرتنا للعهد العثماني في الجزائر وإعادة صياغة أحداثه بمنظور مبتكر وتصور موضوعي، بل تؤدي بنا في غالب الأحيان إلى إعادة صياغة الأحداث واجترار المعلومات التي تضمنتها تلك الكتابات والدعوة إلى دراسات مبتكرة في تناولها لتلك الحقبة من خلال الأرشيفات الجزائرية والتركية لتغطية موضوعات وجوانب ظلت وحتى الآن غامضة وغير محددة رغم أهميتها.
- في تقديرنا أن فترة التواجد العثماني في الجزائر لم تلق الإنصاف، فالمسخ الغربي بشكل عام والفرنسي بشكل خاص نتيجة ضعف الدولة العثمانية أعطى فرصة لكتاب المدارس الغربية لإشهار أسلحتهم وتكريس النزعة الدينية والمصالح الإيديولوجية، وتواصلت سموم تلك الكتابات حتى إلى ما بعد استقلال الجزائر قصد تعزيز النفوذ الفكري في أوساط الشباب وبالخصوص النخبة.

الهوامش:

1 مولاي بلحميسي، موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، الجزائر، ص 101.

2 أبو القاسم سعد الله، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 1، عالم المعرفة، 2011، الجزائر، ص 22.

* الدراسات الإستشراقية، هو دراسة كافّة البنى للشّرق من وجهة نظر غربية وتستخدم كلمة الاستشراق أيضاً لتدليل تقليد أو تصوير جانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة في الغرب. المعنى الأخير هو معنى مهمل ونادر واستخدامه والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر استعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر... وللمزيد ارجع إلى: إدوارد سعيد، الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، بيروت، ص 368.

3 بلقاسم قرباش، الكتابات الغربية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر العثماني، دورية كان التاريخية، العدد 23، مارس 2014، ص 119.

* هايدو: رجل دين إسباني سّجن في الجزائر بين سنتي 1578 و1581 وله عدة مؤلفات أهمها:
Histoire des Roi d'Alger – Topographie et Histoire générale d'Alger – de la Captivité d'Alger.

*مرمول كاربخال: ولد في غرناطة عمل كجاسوس لإسبانيا في شمال إفريقيا لمدة 22 سنة وكان ضمن جيش شارلكان الذي إحتل تونس سنة 1535، وللمزيد أنظر: مرمول كاربخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984، الرباط.

4 جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986، الجزائر، ص 495.

5مولاي بلحميسي، مرجع سابق، 17.

6 Le Père Dan, Histoire de Barbarie et des Corsaires, Pierrerocolte, 1649, Paris, p 121.

7عائشة غطاس، نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، 1988، الجزائر، ص 120.

8 مولاي بلحميسي، المرجع نفسه، ص 102.

9جمال قنان، التاريخ الإسلامي بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، 1988، الجزائر، ص 130.

10 جمال قنان، نفسه، ص 140

11محمد مبارك الميلي، موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 14، ص 82.

12ناصر الدين سعيدوني، طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، في ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، 2012، الجزائر ص 40.

13 مولاي بلحميسي، المرجع نفسه، ص 71.

14 جمال قنان، المرجع سابق، ص 134.

15 ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 39.

16 بلقاسم قرباش، الآسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671–1830، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، السنة الجامعية 2016/2015، ص 109. وللمزيد إرجع إلى:

بلانتيت أوجان، مراسلات ديات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700–1833، ترجمة جيجيك إلياس، وسلامنية بن داوود، ثلاثة أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2014، الجزائر.

17 ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص _ص 111 _ 113.

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, 1éd, Gustave Jérôme Et-F-Biro, Imp, Edi, Constantine, 18 1903, p_ p 214_215.

Ernest Mercier, Pachas – Pachas – Dey, in R.A, 1873, p_ p 439_441. 19

* القبائل المخزنية، مكان خزن البضائع والمؤن والمصطلح يطلق على قوة من قبائل العرب والبربر والمتعاونة مع الداي إلى جانب القوة العسكرية التركية لفرض سلطانه... وللمزيد إرجع إلى مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر، ص 81.

Tachrifat, Recueil de Notices Historique Sur L'administration de L'ancienne Régions d'Alger 20 Pub par A. Devoulx, Alger 1852, p 22.

21 وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، 2006، الجزائر، ص_ص 106 _ 108.

, Alger, p_p 168_ 201.5 Joseph François Aumerat, La Propriété Urbaine à Alger, in R.A, 189[2]2

23 حمدون بن عتو، الصورة السياسية والإقتصادية والإجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2018/2017، ص 309.

24المرجع نفسه، ص ز.

Henri Delmas Grammont, Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1515-1830, Collection 25 XIX, 2016, France, p 210.

26 هلايلي حنيفي، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودي غرامون، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الأول، مارس 2009، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ص 8.

27 هلايلي حنيفي، المستشرقون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها 1830–1962، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 154 _ 155، فيفري 2014 مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 303.

Moulliescaux. L, Histoire de L'Algérie-texte de J. Lassus, G. Marcais, P. Boyer, Les Productions [2]8 de Paris, 1962, p 187.

Rotallier. Ch, Histoire d'Alger et de la Piraterie des Turcs dans La Méditerranée à dater du [2]9 seizième siècle, Paris, Paulin, 1841, p 143.

Venture De Paradis, Alger. Tunis au 18 ème siècle, Mémoire et Observations Rassembles et 30 Prsents Par Jesephcuoq, Paris, Sindbad, 1983, p 20.

31حمدون بن عتو، الصورة السياسية والإقتصادية والإجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص ز.

32 شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ط 2، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، تونس، ص 386.

33 نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 180.

34 مختار هواري، الدولة الجزائرية في الفترة العثمانية بين آراء النفي والإثبات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 27، ديسمبر 2016، جامعة باتنة 2، الجزائر، ص 579.

[3]5 بلقاسم قرباش، مرجع سابق، ص 121.

36 بلقاسم قرباش، مسألة الإسلام في إنجلترا 1571–1700، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 10، ديسمبر 2015، ص 202.

Lotfi Ben Rejeb, Barbary's, Character in European Letters, 1514-1830, An Ideological Prelude 37 to Colonization, Dialectical Anthropology, Vol 6, no 4, june 1982, p_p 346_347.

Nabil Matar, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East 1577-1625, 38 Renaissance Quarterly, No 54, 2001, p 554.

* توماس شاو، ولد سنة 1692 حصل على شهادة البكالوريا في الفنون سنة 1716 ودرجة الماستر في نفس التخصص سنة 1719 وإشتغل كقس في القنصلية الإنجليزية بالجزائر وألف أفضل الكتابات الجغرافية حول شمال إفريقيا، تحصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت سنة 1734... وللمزيد عن كتاباته حول الجزائر العثمانية إرجع إلى:

Shhaw Thomas, Travels and Observations relating to Several Parts of Barbary and The le vant, 2 nd Ed, Oxford, London.

39 بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات، مرجع سابق، ص 118.

40 Mary Wortley Montagu, The Complete letters of Lady Mary Wortley Montagu 1752-1762, Vol 03, London, Claredon Press, 1967, p 20.

41 بلقاسم قرباش، المرجع سابق، ص 130.

42 J. Morgan, A Complete History of Algiers, From The Earliest to The Present Time, V2 J.Bettenham, London, 1729, p 135.

43 بلقاسم قرباش، مرجع سابق، ص 121.

44 أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 2005، بيروت، ص 30.

45 Braudel, Les Espagnols en Afrique du nord de 1492 à 157, in R.A 49, 1928, p_p 198_199. F.

46 محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر 1512 –1543، ط 2، شركة الأصالة لنشر والتوزيع، 2013، الجزائر،ص 431.

47 F. Braudel, ibid., p 431.

48 Braudel, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L' époque de de Philipe2, 5éme édition, A.Colin, Tome2, 1982, p 532.

49 حمدون بن عتو، مرجع سابق، ص وز.

50 نفسه، ص ح.

51 أبو قاسم سعد الله، نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائر، مجلة التاريخ، العدد 4، جويلية 1977، الجزائر، ص_ص 140_141.

52 أبو قاسم سعد الله، أثر الجزائر في الأدب الأمريكي، مجلة الثقافة، العدد 86، 1985، الجزائر، ص 69.

53 نفسه، ص_ص 59 _66.

54 أبو قاسم سعد الله، رسائل الدكتوراه الأمريكية عن الجزائر، مجلة التاريخ، العدد 6، جويلية 1978، الجزائر، ص 69.

55 Maepler Paul Michel, The Barbary Captivity Narrative in American Culture, Early American Littérature, volume 39, Number 2, 2004, p_p 219_220.

56 جيمس ولسن ستيفن، الآسرى الأمريكان في الجزائر 1795–1796، ترجمة علي تابليت، منشورات ثالة، 2007، الجزائر، ص 97.

57 بلقاسم قرباش، الآسرى الأوروبيون، مرجع سابق، ص_ص 125_127.

58 وليام شيلر، مذكرات وليام شيلر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، الجزائر، ص 46.

59 بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون مرجع سابق، ص_ص 123_124.

60 نفسه، ص 122.

61 Robert Mantran, Les données de L'histoire Moderne et Contemporaine de L'Algérie et de la Tunisie, note pour une étude plus approfondie in annuaire de L'Afrique du nord Cnrs, aix en-Province 1962, p 244.

62 Algérie dans la Littérature Françaises, Réimpression de L'édition de Paris, ' Charles Taillard, L 1925, Paris, p15.

63 Ernspeter Ruhe, Les Allemands Fascinés Par L'Algérie Récits de Voyages des 18ème et 19ème Siècles, Majallat El Tarikh (Algiers), No 27, 1987, p_p 39_40.

64 Madeson Peter, Danish Slaves in Barbary, Copenhagen University Press, Nov, 2010, p_p 14_15.

65 بلقاسم قرباش، الآسرى الأوروبيون، مرجع سابق، ص_ص 128_129.

66 وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 33.

67 زياد أبو غنيمة، صفحات مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك، ط1، دار العرفان للنشر والتوزيع، عمان، ص 10.

68 Laucier. De Tassy, Histoire d'Alger et du Bombardement de Cette ville, Paris, Piltan, 1830, p 38.

69 Leroy, Etat General, et Particulier du Royaume et de la ville d'Alger LAHAYE, Antoine VANDOLE ; 1750, p 5.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصـــــادر:

أ/ باللغة العربية:

1/ مرمول كاربخال، أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984، الرباط.

2/ جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986، الجزائر.

3/ بلانتيت أوجان، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ترجمة جيجيك إلياس، وسلامنية بن داوود، ثلاثة أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2014، الجزائر.

4/وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، 2006، الجزائر.

5/ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ط 2، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، تونس 386.

6/ جيمس ولسن ستيفن، الآسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796، ترجمة علي تابليت، منشورات ثالة، 2007، الجزائر

7/ وليام شيلر، مذكرات وليام شيلر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، الجزائر.

ب/ بالفرنسية:

1/ Le Père Dan, Histoire de Barbarie et des Corsaires, Pierrerocolte, 1649, Paris.

2/ Ernest Mercier, Histoire de Constantine, 1éd, Gustave Jérôme Et-F-Biro, Imp, Edi, Constantine, 1903.

3/ Tachrifat, Recueil de Notices Historique Sur L'administration de L'ancienne Régions d'Alger Pub par A. Devoulx, Alger 1852.

4/ Rotallier. Ch, Histoire d'Alger et de la Piraterie des Turcs dans La Méditerranée à dater du seizième siècle, Paris, Paulin, 1841.

5/ Venture De Paradis, Alger. Tunis au 18 ème siècle, Mémoire et Observations Rassembles et Prsents Par Jesephcuoq, Paris, Sindbad, 1983.

6/ Braudel, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à L' époque de de Philipe2, 5éme édition, A.Colin, Tome2, 1982.

7/ Laucier. De Tassy, Histoire d'Alger et du Bombardement de Cette ville, Paris, Piltan, 1830.

8/ Leroy, Etat General, et Particulier du Royaume et de la ville d'Alger LAHAYE, Antoine VANDOLE ; 1750.

2 / المراجــع:

أ/ الكتـــــــب:

1. أبو القاسم سعد الله، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 1، عالم المعرفة، 2011، الجزائر.

2. إدوارد سعيد، الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، بيروت.

3. ناصر الدين سعيدوني، طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، في ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، 2012، الجزائر.
4. مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر.
5. نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 180.
6. أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 2005، بيروت.
7. محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر 1512 – 1543، ط 2، شركة الأصالة، 2013، الجزائر.
8. زياد أبو غنيمة، صفحات مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك، ط1، دار العرفان للنشر والتوزيع، عمان.

ب / الدوريـــــات:

1. مولاي بلحميسي، موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، الجزائر.
2. بلقاسم قرباش، الكتابات الغربية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر العثماني، دورية كان التاريخية، العدد 23، مارس 2014.
3. عائشة غطاس، نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، 1988، الجزائر.
4. جمال قنان، التاريخ الإسلامي بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، 1988، الجزائر.
5. محمد مبارك الميلي، موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 14، الجزائر.
6. هلايلي حنيفي، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودي غرامون، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الأول، مارس 2009، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر.
7. هلايلي حنيفي، المستشرقون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها 1830–1962، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 154 _ 155، فيفري 2014 مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.
8. مختار هواري، الدولة الجزائرية في الفترة العثمانية بين آراء النفي والإثبات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 27، ديسمبر 2016، جامعة باتنة 2، الجزائر.
9. بلقاسم قرباش، مسألة الإسلام في إنجلترا 1571–1700، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 10، ديسمبر 2015، الجزائر.
10. أبو قاسم سعد الله، نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائر، مجلة التاريخ، العدد 4، جويلية 1977، الجزائر.
11. أبو قاسم سعد الله، أثر الجزائر في الأدب الأمريكي، مجلة الثقافة، العدد 86، 1985، الجزائر.
12. أبو قاسم سعد الله، رسائل الدكتوراه الأمريكية عن الجزائر، مجلة التاريخ، العدد 6، جويلية 1978، الجزائر.

ج/ الأطروحـــــات:

1. بلقاسم قرباش، الآسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671–1830، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، السنة الجامعية 2016/2015.
2. حمدون بن عتو، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2018/2017.

د/ المراجع بالفرنسيـة:

1. Henri Delmas Grammont, Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1515-1830, Collection XIX, 2016, France. 2/Moulliescaux. L, Histoire de L'Algérie-texte de J. Lassus, G. Marcais, P. Boyer, Les Productions de Paris, 1962.
3. Robert Mantran, Les données de L'histoire Moderne et Contemporaine de L'Algérie et de la Tunisie, note pour une étude plus approfondie in annuaire de L'Afrique du nord Cnrs, aix en-Province 1962.
4. Charles Taillard, L'Algérie dans la Littérature Françaises, Réimpression de L'édition de Paris, 1925, Paris.

هـ/ الدوريات بالفرنسية:

1. Ernest Mercier, Pachas – Pachas – Dey, in R.A, 1873, Alger.
2. Joseph François Aumerat, La Propriété Urbaine à Alger, in R.A, 1895, Alger. 3/F. Braudel, Les Espagnols en Afrique du nord de 1492 à 157, in R.A, Alger.
4. Ernspeter Ruhe, Les Allemands Fascinés Par L'Algérie Récits de Voyages des 18ème et 19ème Siècles, Majallat El Tarikh (Algiers), No 27, 1987.

و/ المراجع بالإنجليزية:

1. Lotfi Ben Rejeb, Barbary's, Character in European Letters, 1514-1830, An Ideological Prelude to Colonization, Dialectical Anthropology, Vol 6, no 4, june 1982.
2. Nabil Matar, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East 1577-1625, Renaissance Quarterly, No 54, 2001.
3. Mary Wortley Montagu, The Complete letters of Lady Mary Wortley Montagu 1752-1762, Vol 03, London, Claredon Press, 1967.
4. J. Morgan, A Complete History of Algiers, From The Earliest to The Present Time, V2 J.Bettenham, London, 1729.
5. Maepler Paul Michel, The Barbary Captivity Narrative in American Culture, Early American Littérature, volume 39, Number 2, 2004.
6. Madeson Peter, Danish Slaves in Barbary, Copenhagen University Press, Nov, 2010.